قراءة النص القرآني عند الحداثيين العرب المعاصرين

(الخلفيات الفكرية والاستراتيجيات المعرفية)

Reading the quranic texts for the contemporary arab modernists ideological underpinnings and epistemological strategies

د/علي بودربالة

جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال:2019/03/06	تاريخ القبول:2019/03/21	تاريخ النشر:2019/05/15

الملخص:

تدخل قراءة النص الديني (القرآن) عند مفكري العرب الحداثيين المعاصرين ضمن إشكالية التحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية المعاصرة بمقولاتها ومناهجها ومنتجاتها الفكرية، وفي سياق البحث عن النهوض والخروج من التخلف وعلى غرار ما حدث للنص المقدس في أوربا بعد حركة الإصلاح الديني في القرن16 من تفكيك وتطويق ووفق مناهج ألسنية وفلسفية حديثة كالتاريخية والبنيوية والتفكيكية...

الكلمات المفتاحية: النص، التأويلية، القرآن، الحداثة، فكر عربي إسلامي

Abstract:

Interpreting the religious text (Coran) is, for Contemporary Modernist Arab intellectuals, a problematic of cultural challenge, as a result of interaction with modern occidental culture through its arguments, disciplinary and its intellectual products. Within the development researches, as in the religious writing in Europe after the religious reform in 16th century, by unraveling and enveloping techniques through modern linguistic and philosophical methods, for example, those of history, structure, and unraveling.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

تمهيد: لقد اكتمل الإسلام بآخر آية نزلت من القرآن (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**[1]، ومنذ ذلك الحين فهم المسلمون أن

رسالة الإسلام قد اكتملت وأن الوحي قد توقف وأن النص القرآني الذي بين أيديهم (كوثيقة) لا للتجميد والتحنيط والتبرك، بل هو مشروع حضارة ممتدة عبر الزمان والمكان والحال، قابل للقراءة والفهم وللتفسير والتأويل.

لقد كان النص عند المسلمين ومنذ البدء هو المنطلق وإليه الرجوع فقد سميت حضارة الإسلام بحضارة النص، فالتراث الإسلامي على اختلاف مشاربه ومناهجه وعلومه، النص فيه لا يمثل مرجعية أو مقياسا فحسب بل هو الحكَم وهو السلطة الفاصلة عند كل اختلاف وأثناء كل قراءة أو فهم أو تفسير أو تأويل.

فبقدر ما كان قاسما مشتركا بين المختلفين كان حدا فاصلا بين المتخاصمين، ففي كل المراحل التي مر بها المجتمع الإسلامي أثناء القوة وفي فترات الضعف كان النص دائما حاضرا ،مثلما أن النص يمثل مرجعية ومقياسا بالنسبة لقارئه، فهو يمارس عليه سلطته، يُهرع إليه عند كل اختلاف وأثناء كل قراءة أو فهم، والنص إما أن يكون مغلقا جامعا لكل الحقيقة التي تقتضي إجماعا و إما أن يكون مفتوحا قابلا لكل اكتشاف وإبداع واختلاف، هذا ما يصدق على كل نص **تأسيسي** قابل لأن يتحول إلى نص (مقدس) بغض النظر عن مصدره. إلاّ أن **القرآن** كنص يُتجاوز هذه القداسة فهو كما يقال مسكون بهاجس الحوار والجدل والنقاش يتحدى مخالفيه ويدعوهم أبدا إلى مراجعة قيمه.

وهنا يمكن أن نتساءل: **عن الخلفيات الفكرية وآليات قراءة النص القرآني عند الحداثيين العرب المعاصرين وما هي الأهداف أو الاستراتيجيات المتوخاة من وراء تلك القراءات على تشعبها وتباين روادها؟**

1- النص كسلطة مرجعية من التفسير إلى التأويل.

النص: معناه الرفع والإظهار والإسناد، جعل بعض الشيء فوق بعض، وبلوغ الشيء مبتغاه ومنتهاه، وهو عند الزمخشري هو الرفع والانتصاب ومنه (المنصة)[2].

وفي المعنى الشائع هو(صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف)، ولما كان الكلام إما مكتوبا أو منقولا ، فإن النص عند القدماء هو المتن في مقابل الإسناد عند علماء

الحديث. والنص يرفع إلى صاحبه نظرا للعلاقة بينهما ضمن الإطار التداولي، ولكل نص بداية ونهاية تفهمان من ظهوره وبروزه.

وهو عند الأصوليين المسلمين ومنهم الشافعي يطلق على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهرا أو نصا مفسرا أي كل ما ورد عن صاحب الشرع.

ويفهم الناس اليوم النص بأنه الكلام الحرفي المنسوب إلى منشئه الأصلي بغض النظر عن معناه. وهذا يخالف المعنى المتداول عند العرب المحصور بالظهور ويقصد به الظهور التام للمعنى الذي لا يحتاج إلى تأويل(الصريح في دلالته على المعنى بحيث لا يحتمل إرادة غيره[3]) .ثم تطور معناه إلى أن يطلق على النص الديني الكتاب والسنة بغض النظر إن كان معناه قطعي الدلالة أو ظني إلى أن توسع مفهومه حديثا وأصبح يطلق على كل النصوص الشعرية والفلسفية وغيرها وهذه هي الاتجاهات الحداثية في فهم النص مع بداية النهضة العربية الحديثة.

التفسير: استخراج معنى النص القرآني وتتبعه لكشف متعلقه.(يدخل ضمنه كل نشاط ثقافي يعتمد في تأسيس البيان والفهم والاستنباط على ما جد من معارف مما يتناسب وروح النص ولا يعارضه، مع الكشف عن جوانب فيه لم توفها الأدوات السابقة حقها من البيان والإيضاح[4])

التأويل: لغة من أوْل وتعني الرجوع والعود[5] ، قد يعني التفسير أي بيان معاني القرآن عند المتشابه منه[6] .وقد يعني ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره[7]، كما قد يعني عند المتكلمة وبعض الباطنية صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل متصل[8].وقد يعني التدبر والاستنباط في المتشابه المتعلق بعالم الشهادة لا الغيب[9]

ومما قيل في **التأويل**: صرف معنى الآية إلى وجه تحتمله شريطة أن يكون موافقا لما قبله وملائما لما بعده، وأن يكون موافقا للكتاب والسنة والإجماع ولسان العرب حتى لا يصرف لفظ الآية إلى غير فحواه[10].

يعرفه البغوي (بأنه صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة).

وللنص القرآني مقاصد إدراكها شرط في التأويل كما في التفسير لفهم معانيه، قد تكون دلالة النص حقيقة وهي تابعة لقصد المتكلم وهي ليست محل اختلاف ، وقد تكون دلالة إضافية تدرك بفهم السامع وجودة فكره ويمكن أن تكون متباينة بين السامعين[11] .

ومما قيل في التأويل أنه انتقال من جسم النص إلى روحه وحقيقته)

بين التفسير والتأويل: ومن الفروق التي تذكر بين التفسير والتأويل في المرجعية التراثية:

- أن التفسير متعلق أكثر بالألفاظ بينما التأويل يركز أكثر على المعاني.
- التفسير يركز على اللفظ المفرد في حين أن التأويل يهتم خاصة بالجملة والسياق.
- التفسير يفيد القطع أما التأويل فيفيد الترجيح أو الظن .
-التفسير مقصور على الإتباع والسماع (الرواية) أما التأويل فمتعلق بالاستنباط(الدراية).

من التفسير إلى التأويل من حيث المنهج:

- التفسير إدراك للنص من حيث الظاهر وقد ساد هذا النوع من التفسير القرون الثلاثة الأولى ومن أمثاله تفسير ابن جرير الطبري[12] ويسمى **بالتفسير البياني العملي** يعتمد الإيضاح اللغوي والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وأسباب النزول...

- أما التأويل فيتجاوز الظاهر إلى باطن النص وأعماقه ومن أمثال هؤلاء الباقلاني[13] والزمخشري وابن عربي والرازي ويسمى **بالتأويل النظري** و قد ظهر هذا النوع من التفسير ما بعد القرن 3هـ.ومن بين ما يحتج به في هذا أن:(لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل)

- أما فترة ما بعد القرن ال4هـ المعروفة بمرحلة الركود والتراجع الحضاري فقد ساد التفسير المعروف **بالشروح والتلخيص والحواشي والتعاليق** وتكرار المنقول ومن أمثال مفسري هذه المرحلة: السيوطي[14] البيضاوي، الخازن، ابن كثير...)[15].

إذا كان هو حال النص الديني القرآني عند القدماء فكيف هو عند المعاصرين في ظل التأويلية المعاصرة؟ (الهرمينوطيقا)

2- الخلفيات الفكرية لدى الحداثيين العرب في قراءة النص

التأويلية أو الهرمينوطيقا herméneutiaue أو فن التأويل الأصل فيها من الكلمة اللآتينية Hérmenia من هرمس Hermes الإله الوسيط بين الإله والناس ،من يفسر ويفك الطلاسم ويشرح المرمّز، وعند آباء الكنيسة كان يعني تفسير كلمة الله، فالكلمة بمعناها القديم تحمل طابعا تقديسيا [16]. نشأت الهرمينوطيقا في كنف النظر في نصوص الإنجيل ثم الممارسة التأويلية فيما بعد انتقالا من البحث عن المعنى الحرفي أو المجازي إلى الدلالة كشكل من أشكال الفهم الذي يمنحه المؤول لخطاب معين ، وهي مرحلة تلي التفسير وتضفي على النص دلالة لعلاقاته الداخلية.

أو يمكن تعريفها بأنها تقنية منهجية لتفسير المعنى الحقيقي لكل نص وخاصة النص الديني المقدس هذا ما كان يستهدفه الإصلاحيون البروتستانت.كرد فعل على الكاثوليك الذين اقتصروه على رجل الدين.

أو هي:(علم فهم النص الذي أحل الدلالة والمغزى محل المعنى فأقام القطيعة مع الموروث والموروث الديني تحديدا[17])

وهناك من يرى بأن التأويل أخص من الهرمينوطيقا، بحيث أن التأويل أقرب إلى التفسير ومتمم له يغلب عليه الطابع الذاتي بخلاف التفسير الأكثر موضوعية[18].

فالتأويلية أو الهرمينوطيقا من حيث المصطلح قد تكون علما uehermeneutiq(قواعد أدوات وتقنيات معينة) وقد تكون بمعنى المذهب الفلسفي أو التوجه الفكري hermeneutisme وهذه هي التأويلية المعاصرة وهي مدارس كالتفكيكية[19] والبنيوية [20]

أما الهرمينوطيقا فهي أعم وأشمل من التأويل تقترن بقضية الفهم (البنيات والعلامات) أي (فلسفة تحليلية[21])، فقد غدت التأويلية مهمتها فهم المؤلف، أو فهم النص بوصفه تعبيرا عن تجربة المؤلف وفهمه للعالم،إلا أن هذه ما لبثت أن تطورت إلى عملية

فهم النص في ذاته بعيدا عن قائله وفقا لتاريخية الفهم والتأويل، فالمقاصد مقاصد الخطاب لا مقاصد المؤلف، فالتأويل هنا هو إسقاط فهم القارئ على النص وهي القراءة المبدعة وفق وضعية معينة وشروط تاريخية نسبية من غير ضرورة في الرجوع إلى زمن النص، فالنص والقارئ المؤول يلتقيان عند المعنى الجديد العميق المبحوث عنه البعيد عن كل مقاصد المؤلف[22].

فالهرمينوطيقا حولت التفسير والتأويل معا من علوم تبحث عن الدلالة interpretation إلى البحث في آليات الفهم comprehension وهذا ما جعل القارئ موضع البحث بدلا من المتكلم .يقول بول ريكور: (تبدأ الهرمينوطيقا عندما لا نكون مسرورين بالانتماء إلى تقليد متوارث فنقطع علاقة الانتماء لمنحها دلالة ما... كان النص فيما سبق **معنى** وأصبح الآن **دلالة** أي إنجازا لخطاب الذات القارئة.[23]..)

وبالمقارنة الأولية البسيطة بين التأويليتين كما هي في المرجعية التراثية وعند الأصوليين وبين ما هي عند الحداثيين الغربيين من حيث المنطلقات والمقاصد، فإن الأولى(تهدف إلى معرفة مراد الله، ومقاصد الشريعة التي وفقها تفهم النصوص وتؤول المعاني وتستنبط الأحكام وهي تأويلية موصولة).

أما الثانية تقوم على فلسفة العدم واللامعنى وموت الإنسان وهي ناتجة عن نزعة علمية كونية مهيمنة وعن خلفيات فلسفية لا دينية.. تهدف إلى تعددية المعنى ولا نهائيته[24].(المعنى المؤجل بلغة التفكيكية).

<u>ماذا سيحصل لو تطبق هذه التأويلية بهذا المعنى على النص الديني الذي هو القرآن[25]؟</u>

<u>النص الديني في المشاريع الفكرية العربية الإسلامية المعاصرة</u>

وقَع النص الديني القرآني تاريخيا وإلى زمننا هذا بين تأويلين:

أحدهما عند علماء الأصول والتفسير، والآخر لدى الحداثيين المعاصرين وما يريدونه منه؛ ففي حين يعني لدى الأوائل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنًى يحتمله.

فإنه لدى الحداثيين العرب ينحو منحًى عميقًا، يطال النص بالكلية، ويصرفه عن وجهته السياسية والتشريعية إلى الوجهة (الروحية) أحيانًا، ويجعل العقل المعاصر حكمًا عليه أحيانًا أخرى[26].

والقراءات الحديثة في الفكر العربي نعني بها استخدام مناهج وقراءات مستوردة من الفكر الغربي استعملها مع النهضة الحديثة في قراءاته للكتاب المقدس للانفلات من الكنيسة أولا وفك الارتباط بالكتاب المقدس وهو ما حصل بالفعل وتحولت **الهرمينوطيقا** Herméneutique إلى هرطقة كما هو معروف.

فالمشاريع الفكرية الحديثة في قراءة النص عند العرب في انطلاقتها وفي توجهها العام هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس من مكونات فكرنا العربي الحديث، وقد مر الفكر العربي في دخوله إلى الهرمينوطيقا أو(**التأويلية**) بمراحل، فمباشرة بعد الاتصال الذي حدث بين العالم الغربي كحضارة والعالم الإسلامي بدءا من حملة نابليون1798م بل وقبلها بكثير مع بوادر الشعور بالفارق الحضاري فانصب التفكير في البداية على إمكانية التوفيق بين منتجات الحضارة الغربية والنص الشرعي الإسلامي قرآنا وسنة ولو اقتضى ذلك قراءة معاصرة للنص على ضوء منهج السلف ووفق المعطيات الحضارية الجديدة وهو ما حصل مع مفكري الجيل الأول (الطهطاوي خير الدين) ، وحتى مع الجيل الثاني أيضا (الأفغاني محمد عبده)،إلا أن هؤلاء ظلت أطروحاتهم داخل محيط التداول الإسلامي للنصوص، محتفظة بطريقة الاجتهاد والتجديد المتعارف عليها في السياق المعرفي الإسلامي، وذلك بإعمال آليات (التأويل) و(وإعمال المصلحة) و(التحسين العقلي)، وغيرها من آليات الاجتهاد المعرفي الإسلامي[27]، لكن مع بداية الخمسينات من القرن االعشرين بدأت تظهر بعض القراءات الجديدة للنص الديني وفق مناهج حديثة بدءا بقراءة القصص القرآني والتاريخ الإسلامي من أمثال هذا التوجه: طه حسين، جرجي زيدان ، أمين الخولي، محمد احمد خلف الله[28] ...أما مرحلة ما بعد الستينات فقد اتضحت الأمور أكثر وبدأت تظهر ما عرفت فيما بعد بالمشاريع الفكرية لقراءة التراث الإسلامي وبأدوات

معرفية غربية حديثة، وهؤلاء كُثروهم ليسوا على درجة واحدة في الموقف من النص الديني القرآني منهم من وقف على ضفاف النص دون أن يلجه مباشرة كالجابري والعروي وحسين مروة وجورج طرابيشي... ومنهم من وقف على عتبته بل منهم من أراد تأويله وقراءته قراءة تاريخية تفكيكه وبمناهج غربية حديثة[29] تماما كما حصل للنص الديني المقدس(التوراة والأنجيل) بعد النهضة الأوربية الحديثة، وهذه الأخيرة لا تريد أن تحصل اعتقادات إيمانية كما فعلت كل القراءات الإسلامية التاريخية التأسيسية منها والتجديدية وإنما تريد أن تمارس نقدها على بعض النصوص القرآنية(آيات)[30] أسوة بما حصل للنص الديني الغربي الكنسي.

3- استراتيجية القراءة الحداثية العربية للنص القرآني:

هي كل قراءة نقدية انشغلت بالنص القرآني ودارت حوله وهي تستند إلى المناهج اللسانية والسيميائية والأدبية لزحزحة المعنى الظاهر الذي يتضمنه النص والتوجه نحو القراءة التي تهتم بما ينتج تعددية المعنى والدلالة. وهي بالحق قراءة انتقاديه_في مقابل القراءة الاعتقادية الإيمانية التي يدخل ضمنها كل ما خلفه المسلمون قديما وحديثا حول القرآن بما فيه التفاسير[31] (ما دام يرسخ الإيمان ويثبته في نفوس المؤمنين[32])، فالقراءة الحداثية تلغي مقاصد النص التي يتوخاها التفسير الإسلامي أو التأويل العقلاني[33].

من خلفيات المؤولة الجدد:

1- ينطلق الحداثيون العرب المعاصرون من مسلمة كبرى تدخل ضمن إرهاصات فكر النهضة مفادها أن العالم العربي الإسلامي لا يمكنه أن يعرف طريقة إلى التقدم والازدهار إلا بإتباع ما عرفه الغرب بالعمل على نقد التراث الإسلامي بما فيه القرآن والسنة والفكر عموما.

2- أن الانعتاق من سلطة النص الديني والتملص من أسْر التراث هو المدخل السليم للنهوض بالأمة ولإصلاح أحوال المسلمين، فالنص الديني هو العائق الأول أمام التطور، وأمام مسيرة النمو والازدهار الحضاري[34].

3- أن القرآن ليس معجزا لغويا فلغته عادية وخطابه قابل لكل تأويل عقلاني، والوسطاء[35] هم الذين جعلوه مرتبطا بزمن نزوله.

4- النص القرآني شأنه شأن كل نص فيه (فراغات) تملأ من القارئ عن طريق الذات والخيال وهذه العملية لا يكفي فيها التفسير حيث التفسير يكتفي بتوضيح وبيان المقصود واكتشاف الدلالة فحسب.

5- النص القرآني أشبه بالكتاب المقدس بعد الترجمة البروتستانتية له واشتداد الجدل حوله مع الكاثوليك أيام الحركة الإصلاحية في أوربا فأصبح النص موضوع شك وصل إلى درجة الفوضى العارمة، فكان لابد من التحقق من أصل هذا الكتاب عن طريق المناهج النقدية التي استعملوها في نقد النصوص الأخرى القديمة كالإلياذة والأوديسة وغيرها وهذا ما أراد الحداثيون العرب فعله بالنص القرآني[36] لكي نتجاوز التخلف والتأخر والجمود لابد من تبني المنهج التاريخي في الدراسات القرآنية على غرار الدراسات الثوراتية والأنجيلية...[37])

6- ينطلق الحداثيون العرب من مسلمة مسبقة هي أنه إذا طبقت نفس مناهج القراءة النقدية التي طبقت على نص الكتاب المقدس[38] على النص القرآني ستكون النتيجة واحدة ، فكان همهم في القراءة هو البحث عن ما يثبت صحة فرضيتهم وليس العكس.

7- يعتبر المؤولون الجدد أن استدعاء مكتسبات الحداثة من مناهج ومفاهيم ...هو الوسيلة للكشف عن المناطق المهمشة من التأويل الإسلامي القديم الذي كان على اشتباك مع أهل التفسير حول النص القرآني

مناهج القراءة (وهي في الأصل المناهج التي تمت بها قراءة الكتاب المقدس) من أهمها:

المنهج الفيلولوجي: لكل حضارة آثار مادية ونصوص مكتوبة، فإذا كانت الأركيولوجيا تهتم بالآثار المادية فإن الفيلولوجيا هي من تهتم بدراسة النصوص المكتوبة من حيث إعدادها وطبعها، ومن حيث نقد صحتها ، ومن حيث مصادرها، وكل هذا من أجل المحافظة على آثار المجتمع المكتوبة.سواء كانت نصوصا دينية أو غير ذلك.وقد تم تطبيق

هذا المنهج على الكتاب المقدس وقد كانت له نتائجه الإيجابية نظرا للاضطراب الذي وقع فيه من تناقض بين أفكاره وتعدد في أقواله بين عدد نسخه المخطوطة وتعدد النسّاخ الوسائط هذا مع تعدد اللغات.مع فقدان النص الأصلي[39] . فهل الأمر ينطبق على النص القرآني المحسوم أمره؟ نصه الأصلي تدوينه لغته المعروفة بالنص القرآني ذاته[40].

المنهج التاريخي: يمكن القول أنه الدراسة النقدية للوثائق المكتوبة من حيث الشكل ومن حيث المضمون نسبتها إلى زمنها، اللغة التي كتبت بها، من كتبها، المضمون الذي تحمله... وهو الأمر الذي حصل عند مؤرخي الكتاب المقدس بعهديه، فتبين بأنها ليست الوثيقة الأصل مخطوطاتها متعددة ومتناقضة تعرضت لترجمات مختلفة مدونوها متعددون ومجهولون أيضا وزمنها يعود لقرون طويلة قد لا يعرف امتدادها.ولو طبقنا هذا على النص القرآني فإن المسلمين أسبق من هؤلاء في نقد السند والمتن وفي العدل والتجريح ، ولم يثبت عند القدماء سواء كانوا مفسرين أو مؤولين شيئا مما هو شائع عند دارسي المقدس الغربي ومما يريد أن يسقطه الحداثيين العرب المعاصرين[41].

الأنسنة: وتعني رفع القداسة الدينية الإلهية عن النص القرآني ومن لغة الوحي المتعالي إلى الوضع البشري شأن بقية الألسن البشرية بلغتهم(نزع الميثية عن النص الديني بمحاولة أنسنته بعلمنة القراءة).فالقرآن منتجا ثقافيا وليس وحيا متعاليا، لغتة نتاج الواقع العربي التاريخي والاجتماعي ، فهو عند أودونيس يقرأ كما تقرأ النصوص الأدبية فهو قابل لكل الشروط النقدية كأي خطاب بشري[42] .

فالأنسنة تجعل من الإنسان محورا لتفسير الكون وتتنكر لأي معرفة أخرى من خارج الإنسان بما فيها الوحي والدين عموما. فالوحي إذا ما أردنا فهمه فلا بد أن ينتقل من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني.وقد تفرع عن هذا المعنى نسبية فهم النص وبالتالي تعدد القراءات والتأويلات للنص الواحد.

العقلنة: وتعني أن الحداثيين يرون في سلطة النص عائقا أمام حرية العقل وإبداعاته ذلك أن سلطته تمثل الماضي وهي تريد أن تهيمن على الحاضر والمستقبل.

الأرخنة: هي القول بتاريخنية النص القرآني أي أنه يعكس واقعا تاريخيا وتصورات ثقافية تاريخية فالتمسك بدلالاتها الحرفية يعني تثبيت لواقع تجاوزه الزمن وهنا تطرح مشكلة (أسباب النزول الناسخ والمنسوخ المحكم والمتشابه، المكي والمدني، الخاص والعام ...

أو هي (التاريخية) Historicité والذي يربط فهم النص ودلالته بزمن تاريخي غير ممتد شكلته الظروف الخاصة المحيطة وضمن سياقات مختلفة، وهذه (الأرخنة) تستهدف تجاوز عائق القول بالأحكام الأزلية الثابتة، فالنص الديني شأنه شأن أي نص تاريخي إنساني آخر[43] لا قدسية له ولا إطلاقية، فهو مرتبط بظروف نزوله وأسبابه مما يتيح أن يكون معناه محدودا بزمن تلك الظروف والأسباب[44].

المنهج التفكيكي Déconstruction ويقوم على تفكيك النص أو الخطاب ثم تحليله إلى فقرات متناثرة ، فالقارئ يفكك النص ويعيد بناءه وفق آليات تفكيره، وتهدف عند جاك دريدا (إلى الإلمام ببؤره الأساسية المطمورة التي عادة هي نقطة عماء لا يدركها المؤلف[45]) ،فالنص يقبل تأويلات مختلفة جامعا للمعنى ونقيضه ، كل تأويل هو إساءة قراءة فالقراءة عند (بارث) متعة ولعب حر، فالمعاني تتوالد كالخلايا السرطانية... وهكذا فالنص الديني يوظفه القارئ حسب معطياته وفهمه له وهكذا يكون للنص الواحد عدة قراءات بل تأويلات .

المنهج البنيوي أو البنيوية tructuralismes ويقوم على حصر القيمة في النص في ذاته ، ولا يهم مؤلفه ولا مقاصده ولا حتى أوضاعه التي أنتج فيها خطابه. فالنص كمعطى يدرس من خلال أجزائه وتراكيبه وجمله وبنيته ككل أي قبوله للتفكيك والتركيب.

وهذه المناهج الغربية في قراءتها للنص الديني تقوم على بعض من المبادئ أو الأسس الفلسفية منها على الإيجاز:

1- موت المؤلِف(إن الكتابة عند رولان بارت هي إمحاء للشخصية، واللغة تحل محل المؤلف ،

2- خرافة القصدية بموت المؤلف فتح الباب لعملية القراءة والتأويل الحرة للنص

3- لا نهائية المعنى انفتاح النص أمام لا نهائية الدلالة

4- التناص قلب النص إلى شبكة من النصوص المتداخلة

5- الفراغات:وتعني أن النص يحفل بفجوات ومناطق صمت على الناقد أن يملأها وينطقها فالنص غير مكتمل

6- انعدام البراءة في القراءة(كل قراءة هي إساءة قراءة) ..

7- سلطة القارئ، إن قتل المؤلف للانفلات من سلطته ،فالقارئ هو نقطة التقاء النصوص المتداخلة فالقارئ المتفوق بلغة هو من بإمكانه ممارسة العنف على النص وإخضاعه لانسجام عقلاني، والذي يتمكن من انتزاع المعنى من كلماته

القراءة الحداثية المبدعة:(طه عبد الرحمن)

وهي قراءة بديلة للقراءة الحداثية المقلّدة التي تبناها أغلب مفكري العرب المعاصرين وتتناقض معها في كثير من الإحداثيات من حيث المنطلق ومن حيث المصب وهي حداثة موصولة لا حداثة مقطوعة ، حداثة متفاعلة مع الدين لا متصارعة معه تقوم على شرطين:

1- رعاية قوة التفاعل الديني مع النص القرآني.

2- إعادة إبداع الفعل الحداثي المنقول وتجديده

3- لهذه القراءة ثلاث خطط: خطة التأنيس، وخطة التعقيل ، وخطة التأريخ[46].

4- بعض النتائج:

1- إن القراءة الحداثيبة للنص الديني هي استنساخ للنموذج الغربي وإسقاطه على النص القرآني .

2- إن قياس الواقع العربي على واقع الحداثة الغربية قياس فاسد فالصراع الذي خاضته الحداثة الغربية مع رجال الكنيسة الذي أدى إلى رفع القداسة والغيبية عن النص الديني ليس شرطا في المماثلة والمقايسة

وهو من التقليد والاسقاط الذي لا يمت إلى الحداثة المبدعة في شيء.

3- فالواقع الذي تحتكم إليه نخب القراءات الحداثية للنص القرآن وتؤوله وفقه هو الواقع الغربي كنموذج لواقعنا المعاصر وهو كما نعلم تخلص من نصوصه الدينية ومن تشريعاته الربانية وأطلق العنان للإنسان ليحكم واقعه بعد موت (الإله) بحسب تعبير فلسفتهم، فهذا التقليد دليل على الانهزام النفسي والاغتراب المكاني، فالتخبط لدى هؤلاء ومنهم أبو زيد واضح للعيان في قراءاتهم للنص الديني[47].

4- يرى المفكر المغربي طه عبد الرحمان أن النص يخضع لقراءتين فهناك قراءة تعتمد روح الحداثة بحيث تقوم على القيم والمبادئ القادرة على النهوض الحضاري للإنسان في أي زمان وفي أي مكان وفيها يتجلى الإبداع الموصول بماضي الأمة وتراثها، أما قراءة الحداثيين العرب (أركون، نصر حامد أبو زيد...) فهي قراءة اعتمدت الواقع الحداثي الغربي فهي قراءة أبسط ما يمكن أن يقال فيها أنها قراءة مقلدة مفصولة بدعية لا إبداعية تمحو خصوصية النص القرآني[48] .

5- تهدف القراءة الحداثية للنص الديني القرآن إلى زحزحة ما هو ثابت لدى المسلمين منذ قرون خلت وتقويض كل ما هو مقدس، وأنسنة كل ما هو إلهي ، وتأريخ المتعالي ، والقول بنسبية المطلق، فالنص الإسلامي القرآني كنص الأديان الوثنية الوضعية الأخرى[49].

6- لم تستطع القراءة العربية الحداثية التخلص من الخصوصيات التاريخية والثقافية للآليات والمناهج الغربية والعمل على إسقاطها بشكل لا يراعي خصوصيات البيئة الأصل ولا ظروف البيئة المستهدفة بالتطبيق.[50]

الهوامش:

[1] المائدة، الآية 3

[2] انظر، لسان العرب

[3] معهود العرب في الخطاب وإشكالية قراءة النص الشرعي، مقال على الأنترنت

[4] عبد الرحمن بودرع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل، ط1 2014، مركز الدراسات القرآنية، المغرب، ص23

[5] ابن منظور، لسان العرب

[6] كما ورد في قوله تعالى:(وما يعلم تاويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) آل عمران الآية 7

[7] قال تعالى(هل ينظرون إلاّ تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) الأعراف أية53

[8] بودراع المرجع نفسه ص77

[9] محمد عمارة: قراءة النص الديني ، ص25

[10] المرجع نفسه ، ص11 12 81

[11] المرجع نفسه ص83

[12] انظر تفسيره ، البيان في تفسير القرآن ، وذكره قصة (الغرانيق) وكيف اعتمدها سلمان رشدي في كتابه (آيات شيطانية) ، مع أن مثل هذه الروايات ضعيفة وقد أثبت المحققون ذلك إلا أن هؤلاء يعتمدونها للتشكيك في جمع القرآن وأحرفه كما فعل أبو موسى الحريري في كتابه معجزات القرآن كبحث في تاريخ القرآن.

[13] للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المعتزلي كتابان في هذا:إعجاز القرآن ونكت الانتصار لنقل القرآن.

[14] صاحب كتاب (الإتقان في علوم القرآن) الذي اعتمده عبد المجيد الشرفي كنموذج للتراث الإسلامي حتى يشكك في جمع القرآن وفي تدوينه.

[15] يراجع ،رفعت محمد الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، ط1 1979، دار العودة بيروت.

[16] انظر، بوزيد بومدين، الفهم والنص، ط12008، منشورات الاختلاف الجزائر ص13

[17] محمد عمارة: قراءة النص الديني ط1 2006 ، دار الشروق مصر ، ص7

[18] وردت كلمة تفسير في القرآن مرة واحدة في حين وردت كلمة تأويل أكثر من 10 مرات

[19] من أقطابها بارث جاك دريدا

[20] حميد سمير، مرجع سابق ص 146

[21] المرجع نفسه ص44

[22] المرجه نفسه ص45

[23] من النص إلى الفعل ص46

[24] حميد سمير: نموذج الحداثة وما بعد الحداثة في الفكر العربي الحديث، ط1 2017 ،مركز تكوين العربية السعودية ، ص75

[25] يجيب نصر حامد أبو زيد على الفور: الهيرمينوطيقا قضية قديمة وجديدة في نفس الوقت وهي في تركيزها على علاقة المفسر بالنص ليست قضية خاصة بالفكر الغربي ، بل هي قضية لها وجودها الملح في تراثنا العربي القديم والحديث على السواء. انظر كتابه الخطاب والتأويل ص256

[26] فايزة عبد الله الحربي في مقال: المناهج المعاصرة لقراءة النص ، على موقع الألوكة الشرعية : http://www.alukah.net/sharia/0/42391/#ixzz4c3NgUfnc

[27] انظر: سليمان الضحيان، المناهج الحديثة في قراءة النص الشرعي...قراءة نصر أبو زيد أنموذجا ، موقع إسلام اليوم

[28] وكل التفاسير التي صيغت في هذه الأثناء كانت تحت وقع الصدمة الغربية العلمية والحضارية فكانت هناك جملة من التفاسير أو القراءات للقرآن منها القراءة الاجتماعية محمد عبده والأفغاني، القراءة العلمية كتفسير الجواهر لطنطاوي جوهري، وتفسير الدمنهوري (الهداية والعرفان) والقرآن محاولة لفهم عصري لمصطفى محمود، وهناك التفسير البياني لأمين الخولي ، وأخيرا التفسير الموضوعي مع محمد باقر الصدر ومحمد حسين الطباطبائي. انظر سعيد النكر، المرجع السابق ص18 19

[29] المرجع السابق

[30] طه عبد الرحمان:روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)، ط2، المركز الثقافي العربي المغرب،2009، ص176

[31] حميد سمين المرجع السابق ص74

[32] الكلام لأركون في درس السيمولوجيا، نقلا عن المرجع السابق

[33] لعل أكثر الممثلين لهذه القراءة في الفكر العربي المعاصر على رأسهم محمد أركون ومن أتباع مدرسته بتونس عبد المجيد الشرفي ، ونصر حامد أبو زيد وحتى الطيب تيرزيني وحسن حنفي.

[34] انظر. سعيد النكر،قراءة النص القرآني(الأيديولوجيا والمنهج)، ط1، دار عالم الكتب الحديث، اربد الأردن 2004، ص4، يسمي محمد الطالبي التونسي هؤلاء (بالانسلاخسلاميين) مقبسا ذلك من قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آ]اتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

الأعراف الآية175، ورد هذا في كتابه:(ليطمئن قلبي)ن الذي يرد فيه على قراءة عبد المجيد الشرفي للقرآن الكريم

[35] هي القراءات التراثية عموما وهي من العوائق المعرفية التي ينبغي أن نحدث معها قطيعة لأنها قراءات متجاوزة لنصل إلى قراءة ذات بعد عقلي صريح

[36] لننظر،يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ،ط1 ، دار البيان الرياض السعودية ، ص 18 19

[37] أركون ، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، ص 22 23

[38] العهد القديم أو العهد الجديد التوراة أو الأنجيل

[39] يقول أحد نقاد ودارسي النص المقدسوهو رشارد سيمون☹وبما أن الكتب المقدسة وكل أمرها إلى الإنسان ، في وقت ضاع فيه أصلها ، فمن المستحيل ألاّ تتعرض بطريقة أو بأخرى للتغييرات إما بفعل الزمن أو إهمال النساخ)

[40] جاء التنصيص على عربية القرآن في 11 موضعا.

[41] يقول الجابر (لا نستطيع الشك في النص الذي بين أيدينا اليوم لأنه نفس النص الذي جمع ورتب وأقر كنص رسمي زمن الخليفة الثالث عثمان ...)، يراجع في هذا، يوسف الكلام، المرجع السابق ص80 82 وما قبلها.

[42] لننظر: حامد أبو زيد، مفهوم النص ، وعبد المجيد الشرفي في قراءة النص الديني، واودونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة ...

[43] المرجع نفسه ص186

[44] محمد سالم النعيمي:القراءة الحداثية للنص القرآني،ط1،مصر العربية للنشروالتوزيع ، القاهرة، 2016 ، 107

[45] المرجع نفسه ص164

[46] عبد الرحمن بودراع، المرجع السابق ص 75(ويبدو هذا موقف طه عبد الرحمن في كتابه ÷ روح الحداثة)

[47] انظر سالم النعيمي: المرجع نفسه ص126

[48] طه عبد الرحمان:روح الحداثة، مرجع سابق، ص175 176

[49] محمد سالم النعيمي: المرجع السابق نفسه ص130

[50] سعيد النكر:قراءة النص القرآني، مرجع سابق ص24

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊